جماهير تل الزعتر : القيادات تتحمل المسؤولية

رحلة العمر الدموية

في اليوم الثاني والخمسين كان تل الزعتر لا زال يطلق النار ، جماهيره ومقاتلوه يسجلون اساطير الصمود امام الهجوم الكبير الذي شنته قوات الانعزاليين معززة باليات اسرائيلية وسورية ، الكولونيل علي المدني في غرفة عمليات الفاشيين .

لاوامر صدرت اليها من قياداتها في المنطقة الغربية . وانتبه سكان المخيم الى ذلك وتولى نشر خبر بين الناس مفاده ان الاتفاق قد تم على اجلاء المخيم من « المدنيين » في السادسة من صباح الخميس بوساطة الصليب الاحمر وقوات الامن العربية .

الجماهير التي تعرف الفاشيين واتفاقياتهم ووعودهم اكثر من الذين اعطوا الاوامر في المنطقة الغربية ، عرفت ان خروج المقاتلين او قسم منهم سيعرضها لمخاطر شديدة ، وبدأت تتصور مصيرها دون حماية او دفاع ، فاندفعت تحاول ان ترسل مع المقاتلين اكبر عدد من الفتيات لضمان عدم وقوعهن في الاسر وتعرضهن لاغتصاب او ما شابه . وخرجت المجموعات الاولى ، وحاولت مجموعات اخرى ان تتبعها . الا ان الغدر الفاشي كان يتربص بها . واتسع نطاق القتال .. واثر خروج عدد من المقاتلين على المعنويات وامكانيات الدفاع .. ولم يستطع المخيم ان يكمل صموده .. وكانت المجزرة ..

من اعطى اوامر الخروج ؟

قد لا يكون الان هو الوقت الانسب لفتح ملف الساعات الاخيرة لتل الزعتر ، ولكن لا بد من طرح تساؤلات تبحث لها في الرؤوس عن الاجوبة :

□ من الذي عقد الاتفاق لاجلاء المخيم ، ومتى نوقش هذا الامر ومن اقره ؟

□ لماذا صدرت اوامر اخلاء المخيم لبعض المقاتلين قبل التأكد من سلامة السكان ؟

□ لماذا بقيت اوامر الخروج من المخيم سرية ومحصورة في تنظيم او اثنين ولم تعمم على باقي الفصائل ليجري بحثها او التنسيق بصددها لاختيار افضل السبل التي تضمن استمرار الصمود من جهة وتأمين حماية الجماهير من جهة اخرى ،ثم لتنظر في امن وحماية المقاتلين بعد حماية المواطنين ؟

هذه التساؤلات ستضاف الى ما سبقها حول اسباب عدم فتح الطريق الى الزعتر والنبعة وتوقف هجوم المونتي فردي وتجاهل المخيم في كل اتفاقات سابقة من الكورال بيتش الى دمشق .. وستحال كلها الى الجماهير التي ستصدر يوما ما حكم التاريخ .

دور الجبهة الشعبية

مقاتلو الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين لم يتلقوا اوامر بالانسحاب ، وبقوا هناك مع العديد من المقاتلين ، ويقاتلون حتى الطلقة الاخيرة . وقد ادى عنادهم واستمرارهم في التشبث بمواقعهم بالقيادة الفاشية للاعتراف باستمرار المقاومة داخل المخيم طيلة الخميس والجمعة . ودفعت الجبهة الشعبية ضريبة دم جديدة : عشرات من الشهداء والمفقودين في الساعات الاخيرة للقتال :

سقط قائد الجبهة الشعبية في المخيم الرفيق ابو امل عضو اللجنة المركزية ، واستشهد معه كل قيادة الجبهة الشعبية في المخيم ، وغالبية مقاتلي واعضاء الميليشيا التابعة لها في تل الزعتر .. نموذج نضالي على صلابة شعبنا واستعداده للعطاء وتجسيد لخط الجبهة الشعبية في ضرورة الالتزام بالجماهير والدفاع عنها حتى الموت .

قال شهود عيان في لقاء تم في مخيم شاتيلا بين عدد من الناجين من النساء والاطفال وبعض الرفاق وبين قيادة الجبهة الشعبية وعلى رأسها الامين العام الرفيق جورج حبش ، ان مقاتلي الجبهة الشعبية رفضوا مغادرة المخيم عبر الجبل طالما بقي فيه مدنيون .. وانهم رفضوا ان يلقوا سلاحهم عندما نصحهم بذلك احد كوادر من منظمة اخرى وقالوا له : اين نلقي السلاح والمدنيون والجرحى يملؤون المخيم والمستوصف؟..

بين الابطال شهيدتان سقطتا اثناء العمل ولم تكونا قد رأتا عائلتيهما لشهر ونصف ...

لماذا لم يصلوا ؟

اضاف احد الناجين الى التساؤلات التي تشغل بال الناجين الان : « اذا استطاع مئات من المقاتلين الهرب عبر الجبال الى بيروت الغربية ، وبمثل هذه السهولة ، افلم يكن باستطاعة المقاومة في حينه ان ترسل مئات من الغربية الى تل الزعتر لدعم صموده وبقائه .. واين اصبحت حقيقة النجدات التي وصلت المونتي فردي والمنصورية » ؟ ثم ، « ما الذي دفع الصليب الاحمر «والمفاوضون » على اختلاف توجهاتهم ومواقعهم على التركيز على اجلاء المخيم بدل بذل كل الضغوط من اجل تأمين الماء والغذاء لسكانه ؟

دور العملاء

ويتناقل الناجون اخبار الجواسيس والعملاء من بقايا الصاعقة والادوار الخيانية التي نفذوها في عمليات التصفية وخاصة بحق المقاتلين الذين وقعوا في الاسر . وكشف هؤلاء عن المراسلات التي تمت بين قائد ميليشيا الصاعقة « احمد حسن دياب » ـ بلال حسن ـ وقائد قطاع الصاعقة اسماعيل كروم ـ ابو الفدا ـ من جهة وقادة الانعزاليين من جهة ثانية . وذكر القادمون ان بلال حسن كان تسلل قبل اختراق المخيم باربعة ايام مع عشرين من اتباعه الى المواقع الانعزالية ، واستطاع تهريب اهله وعائلته وما تجمع لديه من مسروقات واموال كان قد سطا عليها خلال الاحداث . ومن مواقع الانعزاليين بدأ بلال يحرض المواطنين على الاستسلام بواسطة مكبرات الصوت على اساس ضمانات سورية .

وفي ساحة الدكوانة ، كان بلال يرشد الى المقاتلين بين الاسرى فيجري تصفيتهم . اما ابو الفدا فشوهد يمنح تصاريح « مرور » لاتباعه المشبوهين في الطابق العلوي للمدرسة الفندقية .

وفي الليلة نفسها غادر وعائلته المنطقة في سيارة كتائبية .

من العملاء الاخرين : علي حدرج من قرية هونين وفاطمة هاشم وغيرهما .

احد الناجين : « الحق علينا .. لاننا لم نقتل بلال وابو الفدا منذ البداية » .

ليل الدم

افاد الناجون ، انهم بعد تركهم تل الزعتر ، وجثث قتلاهم المنثورة بالمئات في ازقة المخيم ورأس الدكوانة ، سارت قوافل النساء والاطفال والشيوخ ومن استسلم من الصبيه والرجال المدنيين نزولا من « رأس الدكوانة » حتى ابواب المعتقلات الجماعية الكبيرة في المدرسة الفندقية والنافعة ، تحت رحمة رصاص الانعزاليين وبنادقهم ،الفاشيون مارسوا اشد انواع البطش والتنكيل والذبح والسلب والنهب لكل ما تصل اليه ايديهم مما يحمله افراد القوافل المتوجهة ..كما انهم اقترفوا اشدع انواع التعذيب والتصفيات الجسدية لاعداد كبيرة من الجماهير اللبنانية والفلسطينية اثناء عمليات الاستسلام . ان كان في الطريق الى المعتقل او في داخله بشكل فوري ينم عن عصبويتهم وحقدهم الفاشي الاعمى .

واكد الناجون ان القوات الفاشية عملت على عزل الرجال في ناحية والاطفال والنساء في ناحية ثانية . وكانت تلك هي المرحلة الاولى من التصفية داخل المعتقلات . تلتها المرحلة الثانية بتفتيش الفتيات والنساء بشكل لا انساني انتهت بتجريدهن جميعا من كل ما يحملنه من نقود وحواتم وعقود واساور وحتى محابس الزواج سواء كانت مخبأة تحت الثياب او داخل صدورهن التي حملنها في « رحلة العمر الدموية » .

اما الرجال فقد عزل الفلسطينيون منهم من ناحية واللبنانيون من ناحية ثانية ثم اعقبها السوريون في ناحية ثالثة ، حيث بدأ التحقيق معهم وفق جداول معده سلفا في الكشف عن المقاتلين والمشاركين جزئيا في القتال ، كانت قد وضعت بمشاركة مسؤول الصاعقة « بلال حسن » وتم تصفية اعداد كبيرة منهم بشكل فوري ،كان جلهم من الفلسطينيين . واختفى قسم كبير من الرجال لا زال مصيرهم مجهولا .. تسلمت المقاومة فيما بعد اعدادا منهم بواسطة الاب عفيف عسيران .

محطات التصفية

اثنا عشر حاجزا من الحقد ما بين الدكوانة وبوابة المتحف اوقفت قوافل مدنيي تل الزعتر . تستنسب ضحاياها ذكورا واناثا ، كان اسوأها حاجز جماعي « للسريان » على مستديرة قصر العدل ، لم يوفر حتى الكهول الفلسطينيين . وقد افاد احد الذين كتب له النجاة ، انه قد اقتيد الى ثكنة الامن الداخلي في السيار مع عدد كبير من المشبوهين في الطابق العلوي للمدرسة الفندقية .

وفي الليلة نفسها غادر وعائلته المنطقة في سيارة كتائبية .

من العملاء الاخرين : علي حدرج من قرية هونين وفاطمة هاشم وغيرهما .

احد الناجين : « الحق علينا .. لاننا لم نقتل بلال وابو الفدا منذ البداية » .

ليل الدم

افاد الناجون ، انهم بعد تركهم تل الزعتر ، وجثث قتلاهم المنثورة بالمئات في ازقة المخيم ورأس الدكوانة ، سارت قوافل النساء والاطفال والشيوخ ومن استسلم من الصبيه والرجال المدنيين نزولا من « رأس الدكوانة » حتى ابواب المعتقلات الجماعية الكبيرة في المدرسة الفندقية والنافعة ، تحت رحمة رصاص الانعزاليين وبنادقهم ،الفاشيون مارسوا اشد انواع البطش والتنكيل والذبح والسلب والنهب لكل ما تصل اليه ايديهم مما يحمله افراد القوافل المتوجهة ..كما انهم اقترفوا اشدع انواع التعذيب والتصفيات الجسدية لاعداد

العميل بلال حسن

كما شاهد بأم عينه عملية اغتيال المس
العسكري للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
قدميه الى سيارتين عسكريتين ، اندفعت ك
واحدة منها الى الاتجاه المعاكس حيث تم
الى نصفين وسحله . كما افاد شهود عيان ان
للمرة الاولى منذ بداية الاحداث شاهدوا حو
٦ سيارات جيب تجر كل واحدة منها جثتين
بالحبال والفاشيون يطلقون الرصاص عليها
« نحن صامدون ، وسنقاتل ونقاتل ، وسنز
بكل جديد » نداء لاسلكي انطلق من اطلال
الزعتر بعد ٢٤ ساعة من اقتحامه « جزر البط
تابعت صمودها ، وضعت مع عشرات العا
في اطلال المخيم معجزة اليوم الحادي والثان
والثالث والخمسين

« رافضوا الاستسلام » قدرتهم معلومات ا
المشتركة بحوالي ١٠٠ مقاتل . الفاشيون يق
بـ ٤٠٠ قصفوهم بعنف .. فردوا بعزيمة س
الفردي .. واخترق من نجا منهم الطوق ..
الجبال .. حتى حدود المناطق المحررة .

مأساة تل الزعتر لم تنتهي ، ولن تنتهي
بسهولة ، الاف العائلات ، وخصوصا من ال
والاطفال في حاجة الى المسكن والدواء والغ
والرعاية التي يستحقونها .. الشكاوي ب
تتراكم منذ الان . المهمة صعبة لا شك وتح
الى جهود جبارة حدها الادنى ، تعاون تام
مختلف القوى والفصائل ، ولكن الدعم العر
والدولي ضروري وملح كذلك .

الجماهير الفلسطينية ترى في مدى العنا
بسكان المخيم امتحانا اخر للمقاومة ولقيا
بشكل خاص . تلك القيادات التي سقطت
امتحان تل الزعتر الاول . وهي تشير باص
الى محاذير كبيرة : محاولات التقييم والتق
من ارقام الضحايا وتغطية جوهر المأساة و
الكبيرة بمؤتمرات صحفية صاخبة وبيانات
دقيقة واللعب على العصبوية الضيقة ل
الانتقادات وتشويه الحقائق . يضع المقا
الصامدين من تل الزعتر الى الواجهة لتغط
مسؤولية القيادات .. محاولات التملص من
«التهديدات » التي كانت قد اطلقت في
اثناء الحصار الكبير بدءا من « الرد العنيف
« قطع كل حوار سياسي » و « بدء حرب
الشعبية » ... بث جو مصطنع من التف
لالهاء الناس عن الحقيقة وحجم ما حصل
تل الزعتر . ..

الجهود الحثيثة لاختراع جسور جديدة
ابقاء الاتصال بالطرف الفاشي . ثم الح
عن مفاوضات جديدة لاخلاء مواقع جديدة
جماهير المخيم صمدت وقاتلت .

مقاتلو المخيم ادوا واجبهم وصنعوا لف
والانسانية فصلا جديدا . وعندما سيروي
قصة انتصار الشعوب على الاستعمار وال
سيكون لتل الزعتر مكانه البارز . اما ا
عن الجريمة فسيكون لهم مكان اخر .